ناجـــــي

إنه طفل في الرابعة ... ربما يناسبه أن نسميه ناجي ، سأله ضابط الأمن : قبل أن تنام البارحة من كان يسهر عندكم ؟ أجابه الطفل :
- يا عمو لقد طلبت من ماما أن أكمل السهرة معهم فقالت أنهم ينتظرون ضيوفا و الأطفال الصغار الشطار مثلي يجب أن يناموا و هكذا فعلت .... و لم أعرف من سهر عندنا و لكن يا عمو ماما لم تنم بجاني كما و عدتني ...
استيقظت ووجدت نفسي على سرير عمتي ... و مع أنه عالٍ و ماما لا تدعني أنزل عنه لوحدي ... نزلت و بحثت عنها ... صرخت و صرخت و لم يجيبني أحد ... رحت أبحث فوجدتهم جميعا نائمين في الصالون على الأرض ... ما بهم ؟ عمتي دائما توبخني لو جلست على الأرض أثناء اللعب و الآن ها هي تسمح للجميع بالنوم ... ذهبت إلى ماما أولاً و حاولت إيقاظها دون فائدة ... مؤكد أنها كانت تطبخ و نسيت البندورة على يديها ووجهها و ثيابها ... و لكن كيف نامت دون أن تغسّل لا ... لا بد أن هذه ليست بندورة ... إنه الدواء الأحمر الذي وضعت منه على رجلي عندما وقعت المرة الأخيرة ... و لكن كيف دهنوا وجوههم جميعا و أيديهم و أجسامهم ... ماما قالت لي هذا لا نلعب به فقط نضع منه نقطة مكان الجرح ليطهره فلا يؤلمنا .

ماما ... ماما ... أنا جائع ... أريد الحليب ... لا فائدة ... ذهبت إلى عمتي ... عيناها مفتوحتان و لا تجيبني ... لماذا ؟؟... البارحة نفذت أوامرها و لم أتعبها ... لكنها لم ترد علي لا أدري لماذا ... زوجها ينام بجانبها ... لم أطلب منه الحليب فهو يحضر لي الشيكولاته و ليس الحليب ...
دخلت الغرفة أبحث عن ابنة عمتي و أختي ... كلتاهما نائمتان ... أيضاً لعبتا بالدواء الأحمر ... لكن لماذا تنامان بدون ثياب ماما قالت ما زال الطقس باردا و يجب أن تنام (بالبيجاما) لم يرد علي أحد ... و لن يعطيني أحد الحليب ..
اوه ... أردت الدخول إلى الحمام ...

لم يستيقظ أحد ليساعدني ... ذهبت إلى أخي ... بحثت عنه لم أجده ... ربما ذهب ليشتري لنا الخبز ... فقلت لنفسي لا بأس سأكل الآن الخبز الساخن بدل الحليب أو ربما يعده لي أخي ...
سأذهب وحدي إلى الحمام فقد صرت كبيرا ..
لكن ما هذا وراء باب الحمام ... لا أستطيع فتحه ... بقوة ... بقوة أكثر ..
اوه هذا أخي ... ينام هنا في الحمام ... أيضاً هو لعب بالدواء الأحمر ... يبدو أن ماما قد عاقبته فحبسته في الحمام ... أخي ... أخي ... أريد الحليب ... أيضاً لم يرد ... دخلت وحدي ... نعم لقد استطعت ... صرت شابا ... لم أعد بحاجة إليهم ... أنا زعلان منهم ... لكن الحليب لا أستطيع تحضيره بنفسي ... كنت سـأبكي ...

لكني سمعت صوت صديقة ابنة عمتي تناديها كما كل يوم للذهاب إلى العمل ... فركضت إلى الشرفة و طلبت منها الصعود لتحضر لي الحليب ... استغربت و سألت عن الجميع .. فقلت لها كلهم نائمون ...

عندما صعدت إلى البيت و قبل أن تدخل ... فقط نظرت إليهم من الباب و حملتني و أتت بي إليك يا عمو ... لا أدري لماذا ... أنا لم أشرب الحليب بعد ... و لم آكل الخبز الساخن ..
الطفل يتكلم و الجميع مشدوهون يستمعون إلى روايته الطفولية المأساة دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة .

قال الضابط لمساعده : أقفل المحضر على أقوال الطفل ... و أرسلوا في طلب والده من العاصمة ... العنوان سجلته الصديقة التي بلّغت ... و عمموا الجريمة البشعة على الصحافة ... علّ الضمائر تصحو ...

و خرجت في الغد الصحف تحمل عنوانا يقول : جريمة بشعة تذهب ضحيتها عائلتان دخل عليهما مسلحون وقتلوا كل من كان في المنزل باستثناء طفل في الرابعة يبدو أنه كان نائما فلم يجده السفاحون ... و لا دليل على السرقة ..

زاوية صغيرة احتلها الخبر وسط أخبار كثيرة مماثلة ... و الطفل انتظر والده الذي تركهم في القرية الهادئة وذهب بعيدا إلى العاصمة حتى لا ينقطع عن مصدر رزقه فإذا القرية الهادئة قبرا كبيرا لزوجته و أولاده و أخته وعائلتها ...

احتضن طفله و هو يثور ... يغلي ... ما هذا البلد ... هنا أيضا فقدهم ... تعذب كثيرا من أجل بقائهم آمنين ... عانى الكثير ليبعد عنهم شبح القلق و الموت فإذا به يلحق بهم و بأبشع صوره .... لماذا ؟؟

من يسأل ؟؟ الفوضى تعم الهواء ... لا أحد يسأل عن أحد ... سيقيم الدنيا و يقعدها ... سيريهم ... لن يترك سبيلا لمعرفة الفاعلين ... قتلوا أخته و زوجها و اغتصبوا ابنتها و ابنته و مثلوا فيهما أيمَا تمثيل ... و زوجته الرقيقة ذبحوها و يبدو أنهم عذبوها ... ربما حاولت إنقاذ ابنتها ... ربما ... سيقول ... ربما طويلا ... فلا دليل ... لا شاهد سوى فناجين قهوة تدل على أن الفاعلين معروفون و دخلوا دون عنف ... و هذا لا يكفي ...

إذا تخلى الضابط عن التحقيق و أقفل المحضر لعدم وجود أي خيط يمكن أن يقودهم إلى الفاعلين ... لن يتخلى هو ... و يثور و يغلي في داخله شيطان الانتقام ... كلهم قتلوا ... و بقي ناجي ... الكل حوله يتحدثون و يروون حوادث مماثلة محاولين تهدئته ... و هو يغلي ... يبحث و يفتش ... و يتجسس ... و هو يغلي ...

و الفوضى تعَم الأماكن الفوضى تعَم النفوس ... حتى الهواء صار رصاصا و حقدا ... حتى الماء صارت دماء ... و ناجي يصر على إعادة الحكاية من أولها كلما أراد أن يشرب الحليب .

هناء كرم